مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn:2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12/ العدد: 01 (2024)، ص: 1096-1114

# إشكالية المنهج في الفلسفة المعاصرة من الأحادية إلى الفوضوية

## بول فير اباند أنموذجا.

# The problem of method in contemporary philosophy from monism to anarchism Paul Feyerabend as a model.

العالم عبد الحميد[1]

[1] جامعة 8 ماي 1945 قالمة الجزائر، laalemabdelhamid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 14 /2023/11 تاريخ القبول: 2024/02/06 تاريخ النشر: 2024/03/03

**ملخص:** يهدف هذا البحث لمعالجة إحدى المشكلات المرتبطة بالمنهج العلمي وعلاقته بتطور العلم في الفلسفة المعاصرة من خلال تحليل نظرية بول فيراباند، التي تعد من أهم الأطروحات على مستوى فلسفة العلم وأكثرها جرأة وتميزا ،كونها لم تكتف برفض المنهج الواحد فقط، بل عملت على تغيير مسار البحث من خلال دعوتها إلى مراجعة جذرية للمنهج العلمي، من التساؤل الذي كان مطروحا لدى الفلاسفة والعلماء القدماء والمحدثين حول المنهج الأنسب للعلم والأكثر فعالية ،إلى التساؤل عن ضرورة المنهج في حد ذاته، وعما إذا كان ينبغي علينا إتباع منهج واحد أم بالإمكان فتح المجال أمام مناهج متعددة ومن تم القول بفوضوية منهجية .

**الكلمات المفتاحية:** المنهج، العلم، الفوضوية

Abstract:This research aims to address one of the problems associated with the scientific method and its relationship to the development of science in contemporary philosophy by analyzing Paul Feyeraband's theory, which is considered one of the most important, boldest and most distinguished theses at the level of the philosophy of science, as it not only rejected the single method, but also worked to change the course of research from During her call for a radical review of the scientific method, she moved from the question that was raised by ancient

and modern philosophers and scientists about the most appropriate and most effective method for science, to the question about the necessity of the method in itself
**Key words:** Method, Science, Anarchism.

---

***المؤلف المرسل:** العالم عبد الحميد

**مقدمة:**

شهدت فلسفة العلم في النصف الثاني من القرن العشرين العديد من التحولات نتيجة للتطور العلمي السريع، ترتب عنها إعادة النظر في جميع المبادئ التي ارتكز عليها العلم قديما، والمنهج الذي كان يستخدمه في البحث عن الحقيقة ، خاصة مع الثورات العلمية في مجال العلوم الفيزيائية والطبيعة المعقدة للعلم. وهو ما دفع ببعض فلاسفة العلم المعاصرين وفي مقدمتهم بول فيرابند 1924-1994. إلى تقديم قراءة نقدية جديدة لأسس العلم ومناهجه تمخض عنها الشك في كل ما هو مطلق والثورة والتمرد على مختلف النظريات السائدة في الفكر الفلسفي والعلمي على حد سواء، رافضة لفكرة المنهج الواحد للعلم، داعية إلى تعددية وفوضوية منهجية، عبر عنها بشكل جلي في كتابه ضد المنهج معتبرا إياها السبيل الأمثل للإبداع وتجاوز مختلف العقبات.

وهو ما يدفعنا إلى طرح جمل من التساؤلات :

فيما تتجلى الخلفية المؤسسة لفكرة الفوضوية عند فيرابند؟ وفيم يتمثل مشروعه النقدي الفوضوي؟

ما لمقصود بمصطلح الفوضوية عنده وما مبرراتها؟ ما مفهومه للعلم وموضوعيته؟ وما حدود مقاربة فيرابند الفوضوية؟

## 1- في مفهوم المنهج وأهميته:

### 1-1مفهوم المنهج: method

أ-لغة: المنهج هو الطريق المستقيم الواضح ...نهج الطريق بينه وسلكه(المعجم الوسيط 2010 ص 996 ).وجاء في لسان العرب (النهج هو الطريق ..وانتهج الطريق صار نهجا ..ونهجت الطريق أبنته وأوضحته..ونهجت الطريق سلكته.(ابن منظور 2004ص 365). وقد ورد في القرآن الكريم "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا. " وعرفه جميل صليبا في معجمه: "هو الطريق الواضح المستقيم الذي يفضي بصحيح السير فيه إلى غاية مقصودة. " (جميل صليبا 1973 ص 21 ).

ب-اصطلاحا: عرفه عبد الرحمان بدوي بأنه: " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين" (عبد الرحمان بدوي 1977 ص-ص 3-4 ). كما عرف بأنه مجموعة من الخطوات والإجراءات العلمية الصارمة والمنضبطة والمنظمة التي يستخدمها الباحث في رحلته البحثية بغية فك الغموض الذي يحيط بالظواهر والمشكلات التي يقوم بدراستها ودلك بهدف الوصول إلى النتائج والاستنتاجات المتعلقة بها. (مسعود حسين التائب2018 ص )222. ومن التعريفات أيضا : " هو مجموعة من القواعد التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة ، من أجل اكتشاف الحقيقة ، أو هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار أو الإجراءات من أجل الكشف عن الحقيقة التي نجهلها، أو من أجل البرهنة للآخرين الدين لا يعرفونها" (عمار بوحوش 1999ص 99).

### 1-2أهميته:

يجمع الفلاسفة والعلماء القدماء والمحدثين وبعض فلاسفة العلم المعاصرين على أهمية ومكانة المنهج بالنسبة للعلم والبحث العلمي، حيث استخدم أرسطو (Aristote384-322). منهج الاستنتاج الصوري، وجعل من المنطق وأداته القياس،

وما يحكمه من قواعد بمثابة أرجانون أو آلة لجميع العلوم متى التزمنا بها كان تفكيرنا سليما، ومتى خالفناها وقعنا في الزلل.

وفي الفلسفة الحديثة أهتم الفيلسوف الفرنسي روني ديكارت (Decartes.rene 1561-1650 ) .اهتماما كبيرا بالمنهج وخصص له كتابا مشهورا هو قواعد المنهج عام 1637، حدد فيه أهم القواعد المنهجية التي ينبغي إتباعها من طرف الباحث معتبرا المنهج جزء من المعرفة . وقد عرف المنهج بأنه : " قواعد وثيقة سهلة تمنع مراعاتها الدقيقة من أن يأخذ الباطل على أنه حق، وتبلغ بالنفس إلى المعرفة الصحيحة بكل الأشياء التي نستطيع إدراكها، دون أن نضيع قي جهود غير نافعة، بل هي تزيد ما في النفس من علم بالتدريج". (ديكارت1930ص 241 ). و قد استفاد ديكارت من المنهج الرياضي ليجعل منهج العلم منهجا استنباطيا يبدأ بالمبادئ الأولى، ثم الانتقال منها إلى النتائج.

وبعده جاء فرانسيس بيكون (Francis bacon 1561 - 1626 )بمنهجه التجريبي الاستقرائي الذي يبدأ من الجزئيات وصولا إلى الكليات، معتبرا إياه منهجا ومنطقا جديدا للوصول الى الحقيقة العلمية. فهو المنهج الصائب والوحيد الذي ينشد مشروعا علميا يستند إلى حقائق صلبة, وهو ما وضحه في كتابه (الارجانون الجديد) عام 1620.

وفي الفلسفة المعاصرة يؤكد الكثير من فلاسفة العلم على أهمية المنهج بالنسبة للعلم رغم اختلافهم حول طبيعة المنهج الملائم بالنسبة للعلم، ومن بين هؤلاء الفيلسوف كارل بوبر(-karl.popper 1902-1994 ) الذي مثل نقطة تحول، حيث قامت فلسفته على أن الخاصية المنطقية المميزة للعلم هي القابلية للتكذيب للمواجهة مع الواقع، للنقد واكتشاف موطن الكذب أو التعارض مع الواقع لتصحيحه والاقتراب من الصدق، ومن تم تقدم العلم، ومن هنا فمنهج العلم منهج نقدي قائم على معيار القابلية للتكذيب وهو الأسلوب الأفضل للتمييز بين العلم

واللاعلم وهو نهاية أي نظرية علمية، وأن النظرية التي لا يمكن تكذيبها إنما هي نظرية غير علمية .لدلك فان المنهج لا يشكل في -نظر بوبر – مجرد عنصر مهم في العلم فحسب، بل بالأحرى إن العلم لا يتحدد إلا منهجيا.

**2-خلفيات النظرية الفوضوية عند فير اباند:**

هناك خلفيات عديدة أنطلق منها فيراباند في تأسيس نظريته الفوضوية يمكن تقسيمها إلى قسمين:

**2-1-خلفية فلسفية:** وترجع إلى تأثره ببعض الفلسفات و الفلاسفة أبرزها:

**2-1-1-السفسطائية:**

حيث تأثر فيراباند بهده النزعة خاصة ما يتعلق بفكرة الشك و نسبية المعرف والحقيقة انطلاقا من اعتبارهم الفرد هو معيار ومقياس كل معرفة وهو ما دفع بفيراباند الى التشكيك في كل ماهو مطلق ، رافضا كل قوانين العقل والعقلانية التي تدعي تحقيق اليقين. لقد شك في المنهج ورفض قوانينه وقواعده الصارمة التي تقيد وتحد من حرية الإنسان وتقف عائقا أمام تقدم العلم والإبداع .ومن هنا امتدح نزعة بروتاغوراس الشكية لأنها تهتم بفكرة تعدد القيم والتقاليد دون أن يفرض أن رؤية الفرد الذاتية أو عاداته وتقاليده هي الوحيدة الصادقة. ( فيراباند1993ص 25 ). إن إسهامات فيراباند الثورية في مجال فلسفة العلم نبعت من النزعة الشكية.

**2-1-2-جون ستيوارت مل:** (.j.s mill 1806-1873 )

تأثر فيراباند بالفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت مل . وتحديدا في فلسفته ودفاعه عن الحرية ورفضه لكل أشكال الاستبداد السياسي أو الاجتماعي أو العقلي ويعتبره عائقا أمام حرية الرأي والتعبير. إن الحماية من طغيان الحاكم ليس بالشيء الكافي، بل هناك حاجة للحماية أيضا من طغيان الرأي كما وضح في كتابه عن (عن الحرية ). لقد شكلت هده الحرية مصدر الهام لفيراباند الذي دافع عن مجتمع حر تتعايش فيه كل التقاليد ، حيث دعا للعمل على الحد من سيطرة القيم على

المجتمع، وإلغاء كل الالتزامات التي يفرضها العلم والعلماء باسم العقلانية . لذلك ينبغي منح الفرص لجميع المعارف والتقاليد والقيم من أجل النهوض بالعلم والمجتمع معا.

**2-1-3-نيتشه:** (F. nietzsche 1844-1900 )

يعتبر الفيلسوف الألماني فريديريك نيتشه من أبرز الفلاسفة الدين اتخذوا موقفا رافضا ومعارضا لمشروع الحداثة الغربية القائم على العقلانية العلمية في صورتها المادية ،فنشأت تيارات حاولت إعادة الاعتبار للأسطورة واللاعقل ومحاولة الخروج وتجاوز فكرة النسق الذي فرضه العقل والعقلانية والتوجه نحو خليط من الأنساق والمعارف، حيث يذهب نيتشه إلى أن المعرفة النافعة خليط لا شكل له من الانطباعات والعلاقات،فادا تصورنا أن هدا الخليط يمثل الواقع الحقيقي أو الصيرورة نكون قد جانبنا الصواب.(عبد السلام صفاء علي جعفر1999 ص294). إن هدا النقد الموجه للعقلانية مهد الطريق لفيراباند لتجاوز العقل متجها نحو اللامعقول مبينا أن العقلانية ما هي إلا قناع يستخدم من طرف أصحاب الإيديولوجيات للتعبير عن مواقف خفية.

**2-2الخلفية العلمية:**

تحكمت الفيزياء الكلاسيكية في الفكر العلمي لفترة زمنية طويلة واستندت في دلك إلى الإيمان الشديد بالحتمية والعقل. غير أن ثقة الإنسان بهما زالت بعد ظهور نظريتي النسبية والكوانتم وهو ما حفز فيراباند للبحث عن جوانب اللاعقلانية فيهما.

**2-2-1-فلسفة ماخ العلمية:**

عالج أرنست ماخ (Ernst.Mach1838-1916 )الكثير من المسائل الفيزيائية ، وبحث عن كيفية نشأتها، وقد كان لهده الدراسة فائدة علمية بينت أثر المنهج واختلافه في تطور العلم، وهو ما اهتم به فيراباند من خلال رفضه للمنهج. كما اهتم

ماخ بموضوع المعرفة الإنسانية معتبرا إياها نسبية غير ثابتة، وهي في تطور مستمر، وهي الفكرة نفسها التي أشار إليها فيرابند في حديثه عن نسبية المعرفة العلمية.

إن ما يميز فكر ماخ تفتحه على مجالات المعرفة المتنوعة .فرغم اهتمامه الكبير بالفيزياء، إلا أنه اهتم أيضا بعلاقة علم النفس بالفيزياء. إلى جاني الطابع النقدي الذي تميزت به فلسفة ماخ، كنقده للميتافيزيقا، ورفضه للمطلقية ونزعته الشكية وهو ما أكده اينشتاين من خلال قوله: " ولقد تأثرت كثيرا بأعمال ماخ عندما كنت طالبا، ففي نظري إن الحجم الحقيقي لماخ يتمثل في استقلاليته وريبيته". ( المالكي علي 2013 ص111).

**2-2-2-نظرية الكوانتم** (Quantum ) التي تبحث في طبيعة المادة المتناهية في الصغر، أي النظرية التي تدرس حركة الجسيمات دون الدرة ( عبد الفتاح محمد بدوي 2007 ص 220). من أهم مواضيعها البحث في طبيعة الضوء، حيث اختلفت النظرية الجسيمية( لماكس بلانك القائمة على مبدأ الانفصال عن النظرية الموجية القائمة على مبدأ الاتصال التي يمثلها هيزنبرغ (.-Heisenberg1901 1976) .والتي تؤكد على الطبيعة الموجية للضوء.

لقد بنا كل فريق اعتقاده على دراسات استنباطية ، أما حقيقة الإلكترون فلا أحد يعرف فيها شيئا طالما أن رؤيته مستحيلة. لدلك لجأ العلماء إلى الاحتمالات في تفسير نتائجهم، فلا يمكن القول باليقين العلمي.

وازدادت حدة الأزمة في الفيزياء الكوانتية مع اكتشاف هيزنبرغ لعلاقة الارتياب، وفتح مجال للجدل العلمي والفلسفي ، وأصبحت النظرية الكوانتية عرضة لتفسيرات فلسفية متناقضة.

لقد أعجب فيرابند بفكرة التعددية، واعتبرها سمة من سمات العلم، وهي أفضل أسلوب لتقدمه.فقوة أي نظرية تستمد من خلال تنافس النظريات الأخرى معها.

**2-2-3-النظرية النسبية:**

التي ظهرت في بداية القرن العشرين بتصور جديد فسرت به حركة الكون والمادة بصورة مخالفة للتصورات السابقة التي قدمها نيوتن. لقد بين اينشتاين أن الكثير من جوانب العالم لا زالت مجهولة حتى عرضت منظومته فكرة الزمان الخالص أو النسبي مكان الزمان الكلي المطلق.لقد أسقط اينشتاين المفهوم المطلق للأشياء، فلا وجود للزمان المطلق، ولا المكان المطلق، ولا للكتلية المطلقة.وبدلك اعتبرت نظرية النسبية بمثابة انقلاب ابستمولوجي قائم على رفض مفهوم المطلق والشك في العديد من المسلمات التي كانت ترتكز عليها الفيزياء الكلاسيكية، فالزمن يختلف باختلاف المحاور المرجعية. ( عبد الرحمان مرحبا 1983 ص74).

**3-نقد فير اباند للعقلانية المعاصرة:**

**3-1-نقد الوضعية المنطقية**: أولت الوضعية المنطقية اهتماما خاصا للمعرفة التي حصرتها في المعرفة العلمية فقط.كما حاولت تحرير العلم من الميثافيزيقا، معتبرة العلم نظاما شاملا مبنيا على أسس منطقية متسقة، خاضع لقواعد ثابتة. واهتمت بمنطق تبرير النظرية العلمية.

غير أن فيراباند انتقد هدا التصور معتبرا أن العلم يقوم على أللاتساق، وتحكمه مؤثرات غير موضوعية تجعله مليئا بالتناقضات. ( فيراباند 2005 ص33 ). وقد توصل فيراباند إلى ذ لك من خلال الاستقصاء التاريخي للعلم الذي يكشف أن العلم غير مقيد بمنهج معين ومحدد، بل إن إتباع قواعد معينة والالتزام بها يعيق التقدم العلمي. كما أن التبرير لا يكون أبدا إجراءا موضوعيا تاما، فهو يحتوي على العديد من العناصر الذاتية. ( فيراباند1997 ص217).

**3-2-نقد القابلية للتكذيب عند كارل بوبر:**

كان فيراباند في البداية معجبا ومتأثرا كثيرا بكارل بوبر،غير أنه سرعان ما تحول من مناصر إلى خصم له. ( يمنى طريف الخولي 2000ص425). ويتجلى دلك

من خلال النقد الذي وجهه كارل بوبر للوضعية المنطقية والمنهج الاستقرائي.لقد أولى بوبر اهتماما بفكرة النقد والتفتح على كل الاقتراحات الممكنة لحل المشكلات العلمية، وفي هدا يلتقي مع فيرابند الذي يدعو إلى التفتح على جميع التقاليد وإتاحة الفرصة للجميع للمشاركة في تطور ونمو العلم.

غير أن فيرابند انتقد بوبر واصفا منهجه بالساذج وفلسفته بالدوغمائية، انطلاقا من حرص بوبر على وضع قواعد ومعايير وتحديدا معيار القابلية للتكذيب الذي اعتبره فيرابند أسلوبا للنقد وليس للبرهنة أو الكشف، إضافة إلى أن الكثير من النظريات لا تقبل التكذيب بالطريقة التي وصفها بوبر. ( فيرابند 1997ص19). كما أن التكذيب الصارم يقضي على العلم ولا يسمح له بالانطلاق ( فيرابند 2005ص)246. وبهدا فالمعايير التي قدمها بوبر ليست لها قيمة بالنسبة للعلم، وهي متناقضة مع تاريخ العلم. إن قواعد بوبر المنهجية لا تساعد على تقدم وتطور العلم بقدر ما تعيقه. ( فيرابند2000ص264). مستدلا على دلك بما قام به غاليلي من خلال انتهاك تكذيبات النظرية الكوبرنيكية،حيث تمكن من تجاوز تلك التفنيدات دون اللجوء إلى التكذيب.

والنتيجة التي يتوصل إليها فيرابند أن المنهج العلمي مهما كانت صيغته وشكله والقواعد المنهجية التي يتبعها فلاسفة العلم سواء كانوا استقرائيون أم تكذيبيون تتعارض تماما مع مصلحة العلم.

**3-3-نقد إشكالية تطور العلم عند توماس كون:** ( T. cohn 1922-)1979. الذي أثر على فيرابند خاصة في فكرة اللامقياسية، التي تعني عند كون اللاعقلاني، أي عدم قابلية النظريات العلمية للقياس المتكافئ للحكم عليها وتقييمها بالمقاييس نفسها،فلكل نظرية إطارها ومفاهيمها ،هده الفكرة أثرت على فيرابند, حيث أعتبرها أساس التقدم العلمي.

وإذ ا كان كون ربط تطور العلم بالثورات التي تحدث على مستوي هدا العلم، والتي يتم بموجبها تغيير في النماذج الإرشادية، حيث يحل نموذج إرشادي جديد محل نموذج إرشادي قديم عجز عن إيجاد حل للمشكلات العلمية القائمة والمستجدة، وهو ما يثبته تاريخ العلم ، خاصة في مجال العلوم الفيزيائية والرياضية. ( طوماس كون 2007 ص131). فان فيراباند عارض عقلانية كون المرتبطة بالنزعة التاريخية كما يتضح في كتابه بنية الثورات العلمية. كما أنتقده في فكرة الباراديغم أو النموذج الإرشادي ، لأنه يحصر النشاط العلمي في إطار نموذج واحد، مما يحد من حرية الباحث ويعرقل الحركة التطورية للعلم، لدلك رفض فيراباند تعددية كون الإرشادية التي سرعان ما تجمع على قبول نموذج إرشادي واحد. وفيما يتعلق بربط كون تقدم العلم بالثورات بين فيراباند أن هدا الأمر لم يظهر على مستوى العلوم السابقة، بدليل ما جاء به نيوتن حول نظرية المادة، إذ لم يظهر أي نموذج أثناء الفترة التاريخية الطويلة لنظرية المادة. ( ماهر عبد القادر محمد 1985 ص 80).

**3-4نقد الميثودولوجيا البحثية عند امري لاكاتوش:** ( I.lakatos 1922-1974)

رغم اتفاق وجهة نظر فيراباند مع لاكاتوش فيما دهب إليه في في منهجية برامج الأبحاث العلمية وتأكيده على أهمية فلسفة امري لاكاتوش، وإقراره بايجابياتها ومدى تأثره بها حيث يقول: "ينتقد لاكاتوش المناهج الموجودة، ويصل إلى نتيجة تتطابق مع نتيجتي. " ( فيراباند 2005ص 277). فانه سرعان ما ينتقد لاكاتوش، ويعيب عليه إيمانه بالمعايير الثابثة التي تقيس تقدم برامج بحث ما أو تأخره، ويرى أن لاكاتوش لم يكن ميثودولوجيا،بل مجرد أنه قدم بعض المفاهيم في مجال الميثودولوجيا.

لقد رفض فيراباند كل محاولة ابستمولوجية تسعى إلى بناء نظرية تستهدف عقلنة الممارسة العلمية، فالعلم في نظره لا يمكنه أن يتقيد بالأطر العقلانية، التي فرضتها الميثودو لوجيات المعاصرة، بما فيها برامج البحث العلمي، بل هو نشاط

ومغامرة ذهنية متحررة تتجاوز كل الحدود ولا تخضع لأي قواعد. ( فيراباند 2005 ص 275. )

**4-الفوضوية وعلاقتها بتطور العلم:**

**4-1مفهوم الفوضوية عند فير اباند:**

فوضوية Anarchism و Anarchie لفظ مكون من مقطعين An وتعني النفي وArchi وتعني السلطة وبذلك يصبح معناها اللاسلطة. ( اندري لالاند 2001 ص 67). وفي المجال السياسي يستخدم هدا المصطلح للدلالة على مذهب سياسي يدعو إلى إلغاء رقابة الدولة والى بناء العلاقات الإنسانية على أساس الحرية الفردية. ( جميل صليبا 1982ص169). وبدلك فالفوضوية تدعو إلى تأسيس مجتمع حر غير خاضع لهياكل الدولة.

غير أن فيراباند حول هدا المصطلح من حقله السياسي إلى مجال الابستمولوجيا ،مقدما تصورا جديدا معارضا للابستمولوجيات التقليدية يقوم على المبدأ (كل شيء جائز).

إن مصطلح الفوضوية لا يعني الفوضى والعشوائية، وإنما يعني عدم الخضوع والتقيد بقوانين العقل، إذ لا وجود لقواعد ثابتة محددة بالنسبة للعلم . لان هدا الأخير لا يشيد على منهجية صارمة، بل على الفوضى واللاعقلانية.يقول: ( إن العلم أساسا عمل فوضوي، والفوضوية النظرية أكثر إنسانية من العلم، ومن المرجح أنها تشجع التقدم أكثر من البدائل المنهجية المتمثلة في القانون والنظام ( فيراباند 2005 ص 21).

إن الفوضوية عند فيراباند ترفض المنهج الواحد، وتفتح المجال أمام كل المشاريع في ميدان البحث. لقد رفض وحدة المنهج ودعا إلى تعددية منهجية بهدف الحث على المنافسة بين نظريات العلم، ومن تم تطوره.يقول: " إن الفوضوية ليست

فقط ممكنة، لكنها ضرورية لتطور العلم ولتقدم الثقافة على حد سواء". ( فيراباند 2005 ص 39 ).

**4-2-مبررات فير اباند في دفاعه عن الفوضوية:**

استند فيراباند في دفاعه عن الفوضوية المنهجية إلى العديد من المبررات من أهمها:

-إن القول بالمنهج الواحد يعيق العلم ويقيده، ويكون سببا في عرقلة التقدم العلمي. وعلى خلاف دلك فان تعدد المناهج يفتح مجال البحث أمام أنماط وأساليب أخرى من التفكير، تساهم في عملية بناء العلم،وهو ما يمنح البحث حرية منهجية ويجعل عملية البحث مفتوحة.

-إن اختزال الممارسة العلمية في منهج واحد يؤدي حتما إلى إلغاء جزء كبير من البحث العلمي. كما أن الكثير من المعارف يتم إقصاؤها من دائرة العلم بحكم أنها خارج المنهج، على خلاف التعددية التي تنعش الفكر الإنساني وتعطي فرصا للجميع للتعبير عن وجهات نظرهم المختلفة.

-إن مبدأ التعدد يحقق التنوع ويزيد المعرفة ثراء، وهو سمة جوهرية لكل معرفة. ( Feyerabend 1988p14. )وهو يعمل على خلق تنافس بين النظريات في إطار مناهج متعددة. فنظرية الخلق المستمدة من النصوص الدينية نافست نظرية التطور، وقد انعكس دلك إيجابا على تقدم العلم.

-إن التقيد بمنهج علمي يقود إلى الانغلاق ويبقي العلماء سجناء داخل قواعد الميثودولوجيا، أما التعدد فيساعد على الانفتاح على كل الخيارات.

-ومن المبررات التاريخية التي استند إليها فيراباند والمستمدة من تاريخ العلم أن الكثير من النظريات العلمية ما كان لها أن تبرز لولا اختراقها لقواعد المنهج المتعارف عليها، فالنظرية الدرية والثورة الكوبرنيكية لم تكن لتحدث إلا لأن بعض المفكرين رفضوا الانغلاق داخل قواعد معينة.

-إن التعددية لها فعاليتها، لا على مستوى الميثودولوجيا فقط، وإنما يمكن اتخاذها كأسلوب حياة في تطور الإنسانية في مجالات متعددة كالتربية والتعليم، حيث يساهم في اتساع مخيلة الفرد ويجعل الفرد ينظر إلى الحقائق بنظرات متعددة لا بمنظار واحد.

-من غير المجدي تحويل العلم إلى بضع قواعد منهجية بسيطة، لأن دلك لا يتناسب مع معيار التعقيد الذي ينطوي عليه مضمون البحث العلمي وتاريخه المعقد.

إن المناهج المقررة من قبل الميثودولوجيين كثيرا ما يضطر العلماء إلى تعديلها، بسبب دخولهم مجالات بحث جديدة، حيث يتطلب البحث الجديد تعديل المعايير والمناهج، واستبدال أدوات بحثهم، لأنهم دائما يتحركون إلى الأمام.

-إن المنجزات العلمية الكبرى في تاريخ العلم تثبت أن هده المنجزات لم تر النور إلا بعد أن قرر بعض المفكرين عدم الالتزام بقواعد محددة. إضافة إلى أن كل قاعدة تنتهك في وقت من الأوقات، فلا وجود لقاعدة منهجية واحدة الا وتم تجاوزها. ( Feyerabend 1984p17.) فغاليلي مثلا ما كان له أن يحقق انجازاته العلمية تلك لو أنه اتبع الأسلوب العلمي السائد وقتذاك، ولم ينتهك القواعد الأساسية للمنهج العلمي.

-إن العلم ليس نشاطا عقلانيا خالصا، فالتقدم العلمي هو إزاحة لنظريات قائمة لتحل محلها نظريات جديدة. وغالبا ما تتضمن هده العملية عناصر لاعقلانية لا يمكن تبريرها.

## 4-3-العلم إيديولوجيا من الإيديولوجيات المتعددة:

4-3-1-مفهوم العلم: يتساءل فيراباند في كتابه العلم في مجتمع حر عن مفهوم العلم وكيف يتقدم وكيف تختلف معاييره وما لدي يجعله مفضلا عن باقي الأساليب الأخرى؟ ثم يجيب عن سؤاله حول مفهوم العلم، مشيرا إلى تعدد الإجابات واختلافها بتعدد مدارس فلسفة العلم، حيث تقدم كل مدرسة تعريفا خاصا مع تقديم مبررات

هدا التعريف. ويضيف أن تحديد مفهوما للعلم وطبيعته لم تتضح بعد ولا زال محل نقاش، وقد تحصل فرصة ويتم تحديد هدا المفهوم ذات يوم. ( فيراباند 2000 ص87).

ولا شك أن الإجابة المقدمة من طرف فيراباند لا تدل على عجزه عن الوصول إلى تعريف للعلم، بل تشير إلى ارتباط العلم –حسب رأيه-كما سنرى بالجانب الايديوبوجي والسياسي والدي حوله في نهاية المطاف إلى مجرد إيديولوجيا.

**4-3-2-العلم إيديولوجيا:**

اتخذ فيراباند موقفا نقديا من العلم الذي كان يهدف سابقا إلى محاربة مختلف الإيديولوجيات الدينية والسياسية. إلا أنه سرعان ما تحول العلم في وقتنا الراهن إلى إيديولوجيا، وهم ما عبر عنه بقوله: " العلم إنما هو أيديولوجيا ضمن أيديولوجيات متعددة". (فيراباند 2000 ص120 ). وبذلك أصبح العلم كسائر الأيديولوجيات يبحث عن السيطرة على المجتمع مدعيا امتلاك الحقيقة، بفضل المنهج العلمي الذي يستخدمه في دراسة مختلف الظواهر متفوقا على الإيديولوجيات الدينية والفلسفية.

وما يبرر تحول العلم إلى إيديولوجيا في نظر فيراباند هو ادعاء العلم قيامه على العقلانية، وتميز نتائجه باليقين والمطلقية، وقدرته على تفسير وحل مختف مشاكل الإنسان، مما جعل هدا الأخير عبدا له ولعقلانيته التي كثيرا ما تستخدم لاستعباد الناس. ( فيراباند 1993 ص288). وقد ترتب عن تحول العلم إلى إيديولوجيا في إلحاق نتائج كارثية وجسيمة على الإنسان، بدليل اختراعه لأسلحة الدمار الشامل وكثرة الحروب.

ومن هنا وجب علينا –حسب فيراباند-التخلي عن النظرة السابقة للعلم على أنه معرفة مقدسة ومنزهة ومتميزة، بل ينبغي النظر إليه على أنه مجرد نسق كباقي الأنساق المعرفية، وأن تميزه وتفضيله عن هده الأنساق مرتبط بجوانب سياسية.

لدلك يتوجب فصل العلم عن السياسة وعن الدولة مثلما يعتبر الدين الآن منفصلا عن الدولة. ( فيرابند 2000 ص 121). كما يجب تحرير الفرد من سلطته" علينا نحرر المجتمع، ودلك تماما كما حررنا أجدادنا من قوة الخنق التي تحملها الديانة الصحيحة الوحيدة". ( شالمرز 1991 ص143).

**5-العلم من الموضوعية إلى النسبية:**

يقصد بلفظ النسبية Relativisme دلك المذهب أو وجهة نظر فلسفية تنظر إلى أن قيمة ومعنى المعتقدات الإنسانية والسلوك الإنساني ليست لها مرجعية مطلقة تقوم بتحديدها. كما يستخدم مصطلح النسبوية للدلالة على المنحى الفلسفي الذي يقول يعدم وجود حقيقة مطلقة. ( مصطفى حسيبة 2009 ص623).

أما في فلسفة العلم فيطلق مصطلح النسبية على أحد الاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم المعارضة لموضوعية العلم ومطلقيته. وابرز من مثلها الفيلسوف فيرابند، الذي اكتسب شهرته من نزعته النسبية أو الشكية في قواعد المنهج العلمي المتعارف عليها. وإذا كان الفلاسفة يتسامحون أحيانا مع النزعات النسبية في مجال الميتافيزيقا، بل وحتى الأخلاق والدين، فقد كان من الصعب عليهم أن يقبلوا دلك في مجال العلم. ( محمد أحمد السيد مقدمة كتاب 1997 ص26 ).

لقد أقر فيرابند بنسبية المعرفة العلمية واختلافها وربطها بالإنسان، وأنكر وجود أية معرفة موضوعية، وهو ما عبر عنه بقوله: لقد كنت نسبيا على الأقل بأخذ المعاني العديدة لهده الكلمة، ولكنني الآن أعتبر المذهب النسبي اقترابا إنسانيا من وجهة نظر أفضل. ( فيرابند 1997 ص232). إن المعرفة الكلية غير ضرورية وغير متاحة، وكل ما هو متاح وجهات نظر مختلفة، تكون صادقة من بعض الجهات فقط، ولا وجود لأي آراء لا ترتبط بتقليد معين.

إن الموضوعية يتعذر تحقيقها في العديد من التجارب العلمية، بحيث كلما حاول المجرب الوصول إليها اصطدم بالذاتية، فعندما تجري التجارب على المستوى الأدنى، فان العلاقة الشخصية بين المجرب وأدواته تلعب دورا حيويا، فالمجرب يعرف أدواته، ويمكنه كتابة جزء من المعرفة الكامنة وراء التجارب، غير أن جزء كبيرا منها يظل حدسيا.( فيراباند 1997 ص 212 ).

**6-حدود المقاربة الفوضوية عند فير اباند:**

لا شك أن مقاربة فيراباند النقدية القائمة على الفوضوية والتعددية تعد قراءة جديدة ومتميزة لفلسفة العلم، تساير تيار ما بعد الحداثة الرافض للفكر المنغلق، الذي ارتكز على مقولتي العقل والحقيقة المطلقة، ليشيد فكرا جديدا يقوم على الفوضى والاختلاف والتعدد في الخطابات الاجتماعية.

وقد أثارت هده النظرية جدلا لدى فلاسفة العلم، فمنهم من أيدها، ومنهم من عارضها. فبالنسبة للمؤيدين يعتبرون هده النظرية هي وحدها القادرة على القضاء على مختلف أشكال الدوغمائية في مجال العلم، وتميز هدا الأخير عن باقي فروع المعرفة الأخرى.في حين ينظر المعارضون الى هده النظرية على أنها تمرد عن المألوف، ورفض للمنهج، باعتباره طريق المعرفة الوحيد. إضافة إلى إقحامه لمخالف المعارف الإنسانية في القرارات العلمية، وتسويته بين المعرفة العلمية والسحرية وعلم التنجيم، ودفاعه عن اللاعقلانية واللانظام.

كما يعاب على فيراباند عدم تقديمه بديلا معرفيا يعد نقده جميع المناهج، على خلاف فلاسفة العلم السابقين، الدين انتقدوا منهجا معينا ثم قدموا بديلا عنه، فمثلا بوبر قدم مبدأ التكذيب بديلا لمبدأ التحقيق ، وقدم كون النموذج الإرشادي بعد نقده لبوبر، ولاكاتوش قدم برامج الأبحاث العلمية بعد نقده لبوبر وكون.

**خاتمة:**

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن نظرية فيراباند الفوضوية تعتبر إحدى أهم النظريات المطروحة على مستوى فلسفة العلم المعاصرة، والتي تميزت بجرأتها وأصالتها وإبداعها ومواقفها الرافضة للعقلانية وأحادية المنهج، والداعية إلى تعدد المناهج، وهو ما يمنح العلم حرية، حيث يحرره من قيود الايدولوجيا ، ويمكنه من تحقيق التنوع والانفتاح عن مختلف المعارف والعلوم والثقافات.

إن دعوة فيراباند إلى الفوضوية والتعددية المنهجية أو إلى اللامنهج -إن صح التعبير-، لا تعني أنه ضد العلم وأنه ينفي المنهج مطلقا، وإنما تعني عدم وجود منهج علمي محدد وعدم وجود قواعد منهجية صارمة، وهي رفض من طرف فيراباند توظيف العلم الغربي توظيفا إيديولوجيا، ومحاولة جادة من طرفه لتخليص العلم من مختلف العوائق التي تقف حائلا أمام تقدمه.

**قائمة المصادروالمراجع:**

**المصادرباللغة العربية:**

بول فيرابند،(2000 )العلم في مجتمع حر، ترجمة السيد نفادي، مراجعة سمير حبا صادق، المجلس الأعلى للثقافة.

بول فيرابند، (1993) ثلاث محاورات في المعرفة، ترجمة محمد أحمد السيد، منشأة المعارف، الأسكندرية.

ضد المنهج،(2005)، ترجمة ماهر عبد القادر محمد علي، طبعة للطالب، الإسكندرية.

**المصادرباللغة الأجنبية:**

Feyerabend P, 1984 Against method out line of ananarchist Knowledge Science and theory of knowledge, new York.

Feyerabend, P .1 968relativism ,oxford university press.

**قائمة المراجع:**

عبد الرحمان بدوي،(1977 ) ،مناهج البحث العلمي، و كالة المطبوعات، الكويت.

عبد الرحمان مرحبا،(1983 )اينشتاين، منشورات عويدات، بيروت، ط 1 .

عبد الفتاح محمد بدوي،(2007 ) ،فلسفة العلوم ومستقبل الإنسان إلى أين؟ دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

عبد السلام صفاء علي جعفر،(1999 ) محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

المالكي علي، (2013 )،الأسس العلمية والفلسفية لنظرية النسبية المحدودة عند اينشتاين، الدار التونسية للكتاب، تونس.

عمار بوحوش،(1999 ) محمد محمود الدنيات، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

مسعود حسين التائب، (2018 )البحث العلمي قواعده وإجراءاته، مناهجه، المكتب العربي للمعارف.

يمنى طريف الخولي،(2000 ) ،مفهوم المنهج الفلسفي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

ماهر عبد القادر محمد،(2000 ) نظرية المعرفة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

شالمرز، نظريات العلم، ترجمة الحسين سحبان، وفؤاد الصفا،دار توبقال للنشر، ط1 ،1991.

قائمة الموسوعات والمعاجم:

ابن منظور،(2004 ) لسان العرب ،ط3،المجلد،13 ،دار صادر،بيروت.

أندري لالاند، (2001 )موسوعة لالاند الفلسفية، ج1،منشورات عويدات، ط2، بيروت.

جميل صليبا،(1973 ) المعجم الفلسفي،ج1، دار الكتاب اللبناني،ط1، بيروت.

جميل صليبا، (1982 )المعجم الفلسفي،ج2، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.

مصطفى حسيبة،(2009 )المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر، ط1، الأردن.